إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الرابعة – العدد السادس عشر – شتاء ١٣٩٣ش /كانون الأول ٢٠١٤م
صص ٣١ ـ ٩

دراسة جمالية التكرار في ديوان "قَليلكِ... لا كثيرهُنَّ" ليحيى السماوي

يحيى معروف*
نورالدين پروين**

الملخص

تحقق ظاهرة التكرار في النصّ الأدبي الجانبين المهمين: الجانب اللفظي والجانب المعنوي. يخلق التكرار في الجانب اللفظي جواً موسيقياً متناسقاً، كما يؤدّي في الجانب المعنوي إلى توكيد المعنى وإبرازه في معرض الوضوح والبيان.

إن التكرار عنصر من عناصر البلاغة اهتم به شعراء العرب المعاصرون اهتماماً بالغاً، ومن بينهم الشاعر العراقي يحيى السماوي الذي نشر ديواناً بعنوان "قليلكِ... لا كثيرهُنّ" و فيه ما يتعلق بزوجته الفاضلة وهموم وطنه الأصلي الذي ظل ومايزال مصدراً لآهاته ونفثاته وآلامه وذكرياته.

وتهدف هذه المقالة باعتماد المنهج الوصفي- التحليلي إلى تحليل التكرار وأنماطه في ديوان يحيى السماوي، ويتمثل هذا التكرار في تكرار الكلمة المفردة، المقابلات والضمائر، تكرار العبارات، تكرار الجملة المستقلة، تكرار عنوان القصائد، تكرار الأساليب المتنوعة، تكرار التركيب الاستفهامي والندائي و... . ومن النتائج التي توصلنا إليها أنّ الديوان يعكس هموم الشاعر و آلامه الصادقة في فراق العراق من خلال جمالية التكرار الذي شكّل لُحمة الديوان. فثمّة تناغم واضح بين أسلوب التكرار ومحتواه.

الكلمات الدليلية: يحيى السماوي، قليلكِ... لا كثيرهُنّ، الشعر العربي المعاصر، أسلوب التكرار.

---

*. أستاذ بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران.
**. طالب مرحلة الدكتوراه بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران. Norudin.parvin@yahoo.com
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادي نظري منظم

تاريخ الوصول: ١٣٩٢/١١/١٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٣/٦/٢٥ش

١. المقدمة

إن الموسيقى عنصر أساسى من عناصر الشعر منذ قديم الزمن. يقول سيد قطب فى تعريف الشعر: «الإيقاع المنغم المقسم فى الشعر يجعله مصاحباً للتعبير الجسدى بالرقص عن الانفعالات الحسية، كما يجعله أقدر على تلبية التعبير الوجدانى بالغناء.» (قطب، ٢٠٠٣م: ٦٢) «لايوجد شعر بدون موسيقى، يتجلّى فيه جوهره وجوّه الزاخر بالنغم. والموسيقى تؤثّر فى أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفيّة التى تشبه قوى السحر ... حتّى إذا فزعت موسيقى الشعر مسامعنا أخذت زمر إحساساتنا ومشاعرنا تتجانس معها وتتشاكل.» (ضيف، ١٩٩٩م: ٢٨)

فالموسيقى فى الشعر ليست حلية خارجية تضاف إليه، وإنما هى وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء، وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفى فى النفس مما لا يستطيع الكلام أن يعبر عنه. (عشرى زايد، ٢٠٠٨م: ١٥٤) فإنّ للموسيقى وظيفة خاصة تتجلى بها المعانى وأحاسيس الشاعر. يقسم النقاد والباحثون الموسيقى إلى قسمين: الأول: الموسيقى الخارجية التى تتكون من الوزن، والقافية، وتجمع الحروف، والثانى: الموسيقى الداخلية وتبرز فى صور مختلفة كالتكرار والمحسنات اللفظية.

بما أنّ خاصية التكرار من الخصوصيات الجمالية التى أضفت على القصائد الحداثية إيقاعاً تكاملياً تفاعلياً فى تحقيق النغم الموسيقى الذى غاب عن القصائد الحداثية، وأن التكرار ليكون عنصراً جوهرياً فى تماسك القصيدة وتفعيلها إيقاعياً فلابد أن يتغلغل فى ثناياها وبواطنها النفسية والدلالية. (شرتح، ٢٠١١م: ١٥٧)

وهذا البحث بالاعتماد المنهج الوصفى- التحليلى يهدف إلى دراسة جمالية التكرار فى ديوان "قَليلكِ ... لاكثيرهُنَّ" ليحيى السماوى ويحاول أن يجيب عن السؤالين التاليين:

١. ما هى أهمّ السمات البارزة لأسلوب التكرار فى ديوان يحيى السماوى؟

٢. ما هى أهمّ المؤثرات الفكرية والاجتماعية الكامنة وراء أسلوب التكرار فى شعر يحيى السماوى؟

٢. الدراسات السابقة

ألفت كتب ومقالات عديدة حول يحيى السماوى نخصّ منها بالذكر:

١. كتاب موحيات الخطاب الشعرى دراسة فى شعر يحيى السماوى لعصام شرتح. والكتاب يسعى إلى فتح مغاليق تجربة السماوى الشعرى والدخول إلى أعماقها من خلال التتبع الدقيق للنصوص الشعرية.

٢. كتاب آفاق الشعرية دراسة فى شعر يحيى السماوى لعصام شرتح. ويسعى إلى تبصير القرّاء بتجربة شعرية متميزة وصوت شاعرى عظيم من العراق الشقيق.

٣. كتاب تجليات الحنين فى تكريم الشاعر يحيى السماوى لماجد الغرباوى. يشتمل الكتاب على عدة أبواب: دراسات نقدية، مقالات ورؤى وانطباعات، حوار مفتوح مع الشاعر اشتمل ٨٠ سؤالا منوعاً و... .

٤. كتاب تجربة العشق والاغتراب فى ديوان قليلك لاكثيرهنّ للدكتور محمد جاهين بدوى. ويكشف عن رؤيته الشعرية وأبعاد تجربته النفسية.

٥. مقال لرسول بلاوى و مرضيه آباد بعنوان "استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) فى شعر يحيى السماوى" ويرصد استدعاء شخصية الإمام الحسين ودلالتها فى تجربة الشاعر.

٦. مقال ليحيى معروف وبهنام باقرى بعنوان "عناصر الموسيقى فى ديوان نقوش على جذع نخلة ليحيى السماوى". وهذا المقال يدرس الموسيقى الداخلية والخارجية. وهناك مقال آخر لمرضية آباد ورسول بلاوى بعنوان "دلالات الألوان فى شعر يحيى السماوى" نشر فى مجلة إضاءات نقدية. والمقال يتناول الألوان ودلالاتها فى شعر السماوى.

٧. هناك مقالات عديدة حول جمالية التكرار فى الشعر العربى المعاصر منها مقال لجهانگير أميرى وفاروق نعمتى بعنوان "أسلوبية التكرار فى التعبير عن شعور الاغتراب: شعر سيد قطب نموذجا" والمقال يدرس أسلوبية التكرار فى شعر سيد قطب.

لا شک أن كل البحوث والدراسات التى تمّت حول الديوان تكون ذات قيمة وفائدة تمهد الطريق للباحثين كما استفدنا منها نحن واعتمدنا عليها فى إعداد هذه المقالة، لكننا ما وجدنا دراسة مستقلة عن أهم ظواهر التكرار فى ديوانه هذا. فتحاول هذه المقالة أن

تكشــف جماليات مظهر من مظاهر الموسيقى الداخلية فى شعر يحيى السماوى؛ ألا وهو التكرار بأشكاله المتنوعة ومســتوياته المتعددة فى ديوان "قليلكِ... لاكثيرهُنّ"، ويشمل تكــرار الألفاظ، والمتقابــلات، والجمل والتراكيب المتنوعة، .... كمــا نحاول إبراز دور جمالية التكرار فى البنية الإيقاعية والدلالية فى الديوان.

تأتى أهمية هذه الدراســة من محاولتها قراءة النص الشــعرى عند يحيى الســماوى، لتكشف عن دوافع الشــاعر وراء اختيار أسلوب التكرار كأسلوب متميز متسلط على ديوانه " قَليلكِ... لا كثيرهُنَّ".

٣. الإطار النظرى

٣-١. الأسلوبية (Stylistics)

إنّ مصطلح الأســلوبية لم يظهر إلا فى بداية القرن العشــرين مع ظهور الدراســات اللغويــة الحديثة. (خفاجى وآخرون، ١٩٩٢م: ١١) أصبح مصطلح "الأســلوبية" يطلق على منهج تحليلى للأعمال الأدبية، يقترح اســتبدال "الذاتيــة" و"الانطباعية" فى النقد التقليدى بتحليل "موضوعى" أو "علمى" للأســلوب فى النصوص الأدبية. (المصدر نفسه: ١٢) تبحث الأسلوبية عن الخصائص الفنية الجمالية التى تميز النص عن آخر أو الكاتب عن كاتب آخر من خلال اللغة التى اســتخدمها وتحاول الإجابة عن هذا السؤال: كيف يكتب الكاتب نصاً من خلال اللغة؟ وهى بوجه عام تدرس النص وتقرؤه من خلال لغته وما تعرضه من خيارات أســلوبية على شتى مستوياتها: نحوياً ولفظياً وصوتياً وشكلياً. (المسدى، ١٩٨٤م: ٣٦)

يقول بالى: إن الأســلوبية دراســة العوامل المؤثرة فى اللغة ولهذا توســع فى المفهوم، فشمل كل ما يتعلق باللغة من تكرار الأصوات والصيغ والكلمات والتراكيب وتداخل مــع علم الأصوات والصــرف واللفاظة والدلالات والتراكيــب. (بلوچى، ٢٠٠٤م: ٥) والتكرار من أهم مكونات شــعر يحيى الســماوى، ولهذا نرى أن نتطرّق فى البداية إلى التكرار وجماليته كحقل من الحقول المعرفية فى إطار الدراسات الأسلوبية.

٣-١-١. التكرار

إن التكرار أحد الأدوات الأسلوبية والآليات التعبيرية التى باستطاعتها كشف أغوار النص، وبواسطتها نتعمق فى ما وراء ذاته، واستجلاء مختلف الأحاسيس والمشاعر الخفية فى نفس المبدع. إنه إحدى المرايا العاكسة لكثافة الشعور المتراكم زمنيا عند الذات المبدعة، يتجمع فى بؤرة واحدة ليؤدى أغراضا عديدة. (حنى، ٢٠١٢م: ٩) وهو بعبارة أخرى إلحاح على جهة هامة فى العبارة يُعنى الشاعر بها أكثر من عنايته بسواها، ليسلط الضوء على نقطة حساسة فيها مرتبطة بدلالات نفسية عميقة. (الملائكة، ١٩٩٧م: ٢٧٦) إذاً التكرار من الوسائل اللغوية التى يمكن أن تؤدى فى القصيدة دوراً تعبيرياً واضحاً. فتكرار لفظة ما، أو عبارة ما، يوحى بشكلٍ أولى بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره، ومن ثمَّ فهو لا يفتأ ينبثق فى أفق رؤياه من لحظة لأخرى، و قد عرفت القصيدة العربية منذ أقدم عصورها هذه الوسيلة الإيحائية. (عشرى زايد، ٢٠٠٨م: ٥٨)

التكرار يؤدى إلى أن يولد من جديد عند شعراء القصائد الحرّة لما يحتوى عليه من إمكانيات تعبيرية يستطيع أن يغنى المعنى إلى درجة الأصالة، وذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة ويستخدمه فى موضعه دون أن يتزلق به فى اللفظية المبتذلة. (الملائكة، ١٩٧٧م: ٢٦٣-٢٦٤) كان ذلك كلّه من أجل خصائص إيجابية للشعر الحرّ فى النزوع إلى الواقع وإلى الاستقلال والنفور من النموذج، والهرب من التناظر وإيثار المضمون. (المصدر نفسه: ٥٦-٦٥) فتمكن أسلوب التكرار من هذا المنطلق، بصورة عامة، من أن يهدف إلى استكشاف المشاعر وإلى إبراز الإيقاع الدرامى. (عيد، ١٩٨٥م: ٦٠)

من هنا يمكن القول إن بنية التكرار فى القصيدة الحديثة أصبحت تشكل نظاماً خاصاً داخل كيان القصيدة، يقوم هذا النظام على أسس نابعة من صميم التجربة ومستوى عمقها وثرائها، وقدرتها على اختيار الشكل المناسب الذى يوفر لبنية التكرار أكبر فرصة ممكنة لتحقيق التأثير، من خلال فعاليته التى تتجاوز حدود الإمكانات النحوية واللغوية الصرف، لتصبح أداة موسيقية ودلالية فى آن معاً. (عبيد، ٢٠٠١م: ١٨٨)

٣-١-٢. جمالية التكرار

والحقيقة أن التكرار أسلوب يتحصن بمختلف القدرات التعبيرية التى من شأنه توافرها فى أى أسلوب تعبيرى آخر، فهو يغنى المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة التى تزيد قوته وترسخه فى فكر المتلقى؛ يمنحها ثقلا معنويا، وأداء متميزا مشحونا بالعمق والتوالد فكرى. (حنى، ٢٠١٢م: ٩) ومن المعانى ما يكون للتشوق والاستعذاب فى التغزل أو النسيب، وما يكون على سبيل التنويه بالمذكور والاشارة إليه فى المدح، وما يكون تفخيماً لاسم الممدوح فى القلوب والأسماع، وما يكون على سبيل التقرير والتوبيخ، وما يدور على سبيل التعظيم للمحكى، وما يدور على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاباً موجعاً، وما يكون على وجه التوجع فى الرثاء، وما يكون على سبيل الاستغاثة، أو على سبيل الشهرة، أو التوضيع، أو الازدراء، والتهكم والقصص و... هو التكرار. (القيروانى، لاتا، ج٢: ٧٤-٧٦)

والظاهر أنّ الدلالة الشعورية هى أهمّ دلالة وأصعبها يحملها اللفظ المكرر فى الشعر الحديث؛ لأنّ تكراره يهدف إلى استكشاف المشاعر الدفينة وإلى الإبانة عن دلالات داخلية ويعدّ التكرار أحد المنافذ التى تفرغ هذه المشاعر المكبوتة. من ثمّ يجىء التكرار فى سياق شعورى كثيف يبلغ أحياناً درجة المأساة. (الملائكة، ١٩٧٧م: ٢٨٧) فإن دور التكرار فيها متعدد، وإن كان الهدف منه فى جميع مواضعه يؤدى إلى تأكيد المعانى، وإبرازها فى معرض الوضوح والبيان. (إبراهيم، ١٩٩٢م: ٣٢٢) التكرار يحقق للنصّ جانبين مهمين، الأول، يتمثل فى الحالة الشعورية التى يضع – من خلالها الشاعر نفسه – المتلقى فى جو مماثل لما هو عليه، والثانى: الفائدة الموسيقية، بحيث يحقق التكرار إيقاعاً موسيقياً جميلاً، ويجعل العبارة قابلة للنمو والتطبيق، وبهذا يحقق التكرار وظيفته، كإحدى الأدوات الجمالية التى تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره؛ لأنّ الصورة الشعرية على أهميتها ليست العامل الوحيد فى هذا التشكيل. (شرتح، ٢٠١١م: ١٦٣)

٣-٢. السيرة الذاتية ليحيى السماوى

هو يحيى عباس عبود السماوى وُلِد بمدينة السماوة بالعراق فى السادس عشر

من مـــارس ١٩٤٩م. يُعتبر من روّاد الشـــعر العربى الحديث. امتلك ناصية الشـــعر فى وقتٍ مبكر. تخّرج فى كلية الآداب بجامعة المســـتنصرية عام ١٩٧٤م، ثمّ عمل بالتدريس والصحافة والإعلام. اســـتهدف بالملاحقة والحصار من قبل البعثيين فى النظام الصدامى حتى فرّ إلى الســـعودية ســـنة ١٩٩١م، واســـتقرّ بها فى جدة حتى ســـنة ١٩٩٧م يعمل بالتدريس والصحافة، ثم انتقل مهاجراً إلى أستراليا؛ وبها يقيم حتى كتابة هذه السطور. (الغرباوى، ٢٠١٠م: ١٥٥) أصدر الســـماوى لحد الآن أكثر من واحد وعشرين ديواناً شعرياً وكتابين نثريين كديوان "قليلك... لاكثيرهنّ".

٣-٢-١. ديوان "قليلك... لاكثيرهن"

قليلُك... لا كثيرهنّ هو الديوان قبل الأخير فى ســـياق الإصدارات الشـــعرية زمنيّاً ليحيـــى الســـماوى فى منفاه. والديوان من حيث الشـــكل والقالـــب الفنى يضمّ إحدى وعشـــرين قصيدة، منها الإهداء، فهو عبارة عن قصيدة مســـتقلة، وهذه القصائد تتراوح بين الشـــكلين: التقليدى الأصيل ذى الشـــطرين والتفعيلىّ، وإن غلب الشـــكل التفعيلىّ من الناحية الكمية، فقد اســـتغرق هذا الشـــكل ستّ عشـــرة قصيدة، واستغرق الشكل الأصيـــل خمس قصائد طوالاً، كما تراوحت رؤية الشـــاعر فى هـــذا الديوان بين تجربة عشـــق الحبيبة/الوطـــن، والحبيبة المرأة، وتجربة معاناة النفـــى والاغتراب، مصطبغة كل تلك النماذج بغنائية عذبة، ووجدانية رقراقة تفيض بها تضاعيف قصائد عامة. (المصدر نفسه: ١٥٧) سنحاول خلال هذه المقالة عرض أهمّ أنماط التكرار وتتبع آثارها الجمالية فى ديوان"قليلك... لاكثيرهنّ".

٤. القسم التحليلى

٤-١. تكرار الألفاظ

تمتلـــك الألفاظ المفردة – من قبل أن توضع فى بناء لغوى – طاقات إيحائية خاصّة، يمكن إذا ما فطن إليها الشاعر ونجح فى استغلالها أن تقوى من إيحاء الوسائل والأدوات الشـــعرية الأخرى. (عشـــرى زايد، ٢٠٠٨م: ٥١) يكرر الســـماوى الألفاظ فى الديوان

بصورة مختلفة ويتبين ذلک بوضوح من خلال الرسم التالى:

الرسم الأول: تكرار الألفاظ

٤-١-١. الكلمة المكررة

وهو ما تطلق عليه نازک الملائكة اسم التكرار البسيط. (الملائكة، ١٩٧٧م: ٢٦٤) كقوله فى قصيدة جبل الوقار: (السماوى، ٢٠٠٧م: ٢٨-٢٩)

غريبٌ... والهوى مثلى غريبٌ ورُبّ هوىً بمغترب عقاب
كلانا جائع والزاد جمرٌ كلانا ظامىءٌ والماء صاب
كلانا فيه من حزن سهولٌ وأوديةٌ... ومن ضجرٌ هضاب
كأنّ لقلبه عقلاً.. وقلباً لعقلٍ فهو سحٌ وانسياب

نحس بمدى سيطرة الغربة على نفسه وفكره فيكرّر هذه الألفاظ: غريب، الهوى، كلانا، قلب، عقل. لأنّ تكرار هذه الكلمات ينبعث من أعماقه فهو لايسأم تكرارها. التكرار هو الوسيلة الأساسية التى يستطيع السماوى أن يبيّن لنا مدى علاقته النفسية بالعراق وحنينه إليها. يتلاعب السماوى بالكلمات بصورة تثير عواطف المتلقى نحو: كأنّ لقلبه عقلاً وقلباً لعقل.

يقول السماوى فى قصيدة"يحدث فى خيالى":

سيدة النساء يا مسرفة الدلال/ لاتأخذى بما يقول عاشقٌ/ فى لحظة انفعال/ سيدة

النساء يا مسرفة الظنون/ سيدة النساء... (المصدر نفسه: ٥٣-٦١)

يمكن القول أن نعتبر تكرار "سيدة النساء" تعبيراً عن حبيبته أم شيماء أو وطنه، لأنّ الشاعر يمزج بينهما بحيث لايستطيع القراء التمييز بينهما فى الديوان. تكرار هذه الألفاظ يدلّ على حبّه الخالص وحالاته النفسية الحزينة فى منفاه لفراق الحبيبة/ الوطن. كما يتكرر كلمة"خيالى" حتّى نهاية القصيدة ثلاث عشرة مرة.

كما يقول فى قصيدة "كأنّى أطالب بالمستحيل":

وأن لايؤول العراق/ وأن لا يعود العراقُ/ سرير الطواغيت... . (المصدر نفسه: ٧٢-٧٣)

كلمة "العراق" من أبرز الكلمات التى يستخدمها الشاعر فى قصائده مباشرة وبصورة رمزية من خلال ألفاظ مثل:"نخل، فرات و...". وقد كرّر لفظة "العراق" ليكشف عن حنين كامن فى صدره ويشير إلى سيطرة العراق على مشاعره وشدة حنينه إلى وطنه.

يقول فى قصيدة "طرقنا بابكم فأجاب صمت":

أما لبعيد هودجكم قدومُ؟ يتيم بعدكم قلبى... يتيمٌ

(المصدر نفسه: ٣٣)

تكرار كلمة "يتيم"فى هذا البيت يدلّ على وحدة الشاعر فى منفاه وابتعاده عن وطنه. فأعاد السماوى اللفظة المفردة. وتبرز صورة صادقة عن شعوره الحزين ويجسد آلامه وذكرياته من العراق.

فهو من خلال التكرار يستطيع تثبيت فكرته المسيطرة على أفكاره وشعوره، ويؤدى إلى تشكيل الموسيقى الداخلية فى القصيدة التى تتناسق مع غاياته. يقول الدكتور عصام شرتح: لقد امتازت قصائد السماوى بجمالية اختيار الكلمة لتكون فى موضعها المناسب لها؛ فالتكرار فى قصائده ليست عشوائية أو اعتباطية الرؤية أو التشكيل؛ وإنما هى مهندسة منسجمة، منسقة فى موضعها الملائم لها؛ وهذه الخصيصة هى التى تجعل الشاعر الجمالى أو لنقل الشاعر الفنان القادر على إصابة الهدف الشعرى من وراء اختيار تكرار الكلمة فى السياق الذى ترد فيه، هو الذى يجعل نصوصه عالية المستوى؛ قادرة على استقطاب القراء بأسلوبها الجمالى، وحنكتها التصويرية، وملمحها العاطفى المثير.

(شرتح، ٢٠١١م: ٤١)

٤-١-٢. تكرار الضمائر

ومن الأســاليب اللغوية اللافتة للنظر فى ديوان يحيى السماوى أنّه كثيرا ما يستخدم ضمير المتكلّم فى التعبير عن ذاته. يقول فى قصيدة "أربعة أرغفة من تنور القلب":

أملأهــا بكوثــر الأمانى/ وبالتســابيح التى/ تفيض من قلبى على لســانى/ بنيتُ فى خيالى/ مئذنــةً.../ وملعباً طفلاً../ وطرزتُ الصحــارى بالينابيع التى تجول/ فى غابات برتقال.../ وعندما غفوتُ تحت شُرفة ابتهالى/ شعرتُ أن خيمتى حديقةٌ/ وأنّنى سحابة/ رسمتُ بالإشــارة/ نســجتُ للكوّة فى الجدار/ من هدب المُنى ســتارة/ وقبل أن أنام فى كوخى على وسادة حجارة/ دوّنتُ فى دفتر عمرى هذه العبارة ... .(السماوى، ٢٠٠٧م: ٩٥-٩٦) كما يقول فى قصيدة "خُسر":

الوطن اســتراح منى../ وأنا اســترحتُ.../ لأنّنى/ منذ تمّــردتُ عليه/ متُّ. (المصدر نفسه: ٩٨)

اعتمد الســماوى فى هذه الابيات على تكرار ضمير المتكلم ليعكس إلحاح الشاعر للتأكيد على تفرده وتميزه حتى فى فراق وطنه. فضمير المتكلم يعبّر عن ما يختلج فى قلب الأديب من المعانى، ويركز السماوى عليه لبيان حقده الشديد على الطغاة ومحتلى وطنه الذى. تكرار الضمير فى الأبيات يمنحها تتابعاً شكلياً ويكمننا أن نستنتج أنّ الشاعر فى خياله هو الفاعل والمسيطر فيمكنه أن يفعل ما يريد.

٤-١-٣. تكرار كلمات خاصة بالطبيعة العراقية

من أهمّ خصائص هذا الديوان أن الشــاعر يلجأ إلى تكــرار كلمات تتعلق بطبيعة العراق. على سبيل المثال يورد الشاعر فى قصيدة "يحدث فى خيالى" هذه الألفاظ:

هل يزعل العصفور من سماحة البيدر؟/ والزهر من الربيع؟/ والنســر من الأعالى؟/ يحدث أن أقيم جســر الودّ/ بين الشــاة والذئب/ وبين الضبع والغــزال/ بينا نهران من ضحك/ ومن بكاء/ وحقل ياسمين/ تشــكو سواقيه احتراق الماء. (السماوى، ٢٠٠٧م:

(٦٢-٥٣

یجسد السماوی طبیعة العراق من خلال تکرار کلمات کالعُشب، الجبال، العصفور، سماحة البیدر، الزهر، الربیع، النسر، حدیقة، سهول الخضر، بستان البرتقال، ذئاب، النوق العصافیریة، الغزلان، جِمال، ابحار، الموج، رمال، الطیور، الجراد، بساتین الفراتین، الحقول، الشاة، الصقر، الضبع، الطواویس، نهران، حقل یاسمین، سواقیه و... . ویظهر فی قوله متغنیا بالطبیعة العراقیة هذه الألفاظ التی تدلّ علی حبّه تجاه الوطن. کما یتکرّر فی قصیدة "حین تکونین معی" الربیع، الورد، الضفاف، المیاه، العشب، الطیر، الأشجار، الأمطار، البحار، لؤلؤ و... . نری فی هذه القصیدة أمله فی المستقبل. و فی قصیدة"غیثان: یتکرر طائر العشب، غصن الیباب، الذباب، بساتین، الذئاب... . وهی ترجع إلی رومانسیة الشاعر. «فلو تصفحنا المجامیع الشعریة لشاعرنا یحیی السماوی، لوجدنا مجموعة ضخمة من قصائده ملیئة بالحبّ والهیام، حیث یمکننا أن نسمیه شاعر الحبّ والرومنسیة.» (معروف، ١٤٣٣ق: ٤) فقد اعتمدت السماوی علی الاستعارة التشخیصیة للکشف عن أحاسیسه بما حوله من الطبیعة، فتفجر هذه التصاویر فی أعماقه من الحقد علی المحتل الذی ینسّق بین أفکاره و أحاسیسه المضطربة و تناغماً بین الصور الشعریة و الموسیقی. لأنّ الشعر لا یکون الا بالنسیج والتألیف بین الفکرة والعاطفة والصورة والموسیقی اللفظیة. (عجلان، ١٩٨٩م: ١٤٢)

تکرار التشخیص یرسم لوحات استعاریة جمیلة مختلفة فی أشعاره الرومانسیة. فیضفی السماوی علی هذه الاستعارات المکنیة الصفات البشریة. نلاحظ کیف یصور السماوی همومه بمظاهر الطبیعة؛ وهذا یدلُّ علی التناسب بین مضمون القصائد وصور الطبیعة التی تشیر إلی ظلم الطغاة. قال علی عشری زاید: «کان من نزعات الرومانسیین الواضحة الهرب إلی الطبیعة، والامتزاج بها فراراً من فساد المجتمع وما یموج به من ظلم وشرور، وکثیراً ما کانوا یجعلون الطبیعة تشارکهم عواطفهم الخاصة، فیسقطون علیها أحاسیسهم، ویشخصون مظاهرها المختلفة.» (عشری زاید، ٢٠٠٨م: ٧٦)

٤-١-٤. تکرار المقابلات

من أبرز السمات الأسلوبية التى تميز شعر السماوى بصفة عامة، وتعدّ محوراً تشكيلياً مهماً ترتكز عليه آلياته وطرائقه التعبيرية فى هذا الديوان بنوع خاصّ، هى"المقابلة" بوصفها مسلكاً تعبيرياً وعنصراً تشكيلياً أثيراً يوظّفه الشاعر – فى براعة واقتدار فنيين – لينقل إلينا مدى ما يعتمل بوجدانه من إحساس حادٍّ وعميق بالمفارقات فى شتى صورها، ومتنوّع مجاليها. (الغرباوى، ٢٠١٠م: ١٨٠) والمثال من قصيدة "ستسافرين غداً":

"ريثما تخضر صحرائى/ بوقع خطى إيابك"/ إنّى ليغنينى قليلُك عن كثير الأُخريات. (السماوى، ٢٠٠٧م: ٢٣)

كما فى قصيدة "يحدث فى خيالى":

وأسرج الخضرة فى القفر/ حتى تستحيل جنّة أرضيّة/ضاحكة السلال../ يحدث أن أقيم جسر الودّ/ بين الشاة والذئب/ وبين الصقر والعصفور/ بين الضبع والغزال/ بين ضفاف الأرض والسماء/ جسر من اليقين.../ وبيننا نهران من ضحك/ ومن بكاء/ وحقل ياسمين/ تشكو سواقيه احتراق الماء. (المصدر نفسه: ٥٩)

فيربط بين معانى المتقابلات ويجعلها متلاحقة متواترة. وتكرار المقابلات من أبرز خصائص هذا الديوان الذى يثير شعبه ضد المحتلين، كما يعبّر عن التوتر النفسى والشعورى الذى يعانيه السماوى ويولّد الإيقاع فى أشعاره إلى جانب التوكيد فى المعنى.

ويجمع الشاعر بين هذه المتقابلات على أساس الانزياح، لأنّ «رصد ظواهر الانحراف فى النصّ يمكن أن تعين على قراءته قراءة استبطانية تبتعد عن القراءة السطحية والهامشية، وبهذا تكون ظاهرة الانحراف ذات أبعاد دلالية وإيحائية تثير الدهشة والمفاجأة، ولذلك يصبح حضوره فى النص قادراً على جعل لغته لغة متوهجة ومثيرة تستطيع أن تمارس سلطةً على القارئ من خلال عنصر المفاجأة والغرابة؛ كما يعكس قدرة كبيرة عند المبدع على استخدام وتفجير طاقاتها وتوسيع دلالاتها وتوليد تراكيب جديدة لم تكن دارجة أو شائعة فى الاستعمال.» (الزيود، ٢٠٠٧م: ٤) فقد استطاع تكرار ظاهرة الانزياح تقديم إمكانيات دلالية متنوعة تدل على عمق أفكار السماوى فى تغيير أوضاع المجتمع.

٤-٢. تكرار العبارات

هــذا النمط من التكرار موجود بكثرة فى القصائــد المعاصرة، ويكون بتكرار عبارة بأكملها فى جســد القصيدة. وإذا جاء هذا النمط فى بداية القصيدة ونهايتها فإنّه يساعد على تقوية الإحســاس بوحدتها، لأنّه يعمل على الرجوع إلى النقطة التى بدأ منها. كما تقول دهنون أمل نقلاً عن محمد لطفى اليوسفى: «إنّها تمكّن القصيدة من العودة إلى لحظة البــدء أى لحظة الولادة.» (أمل، ٢٠٠٨م: ٨) قســمنا تكرار الجملة إلى قســمين: أولاً: تكــرار الجملة بأكمها: تكرار الجملة المســتقلة فى القصائد وتكرار العنوان فى القصائد، ثانياً: تكرار التراكيب المتنوعة. والرسم التالى يبين ذلك بصورة واضحة:

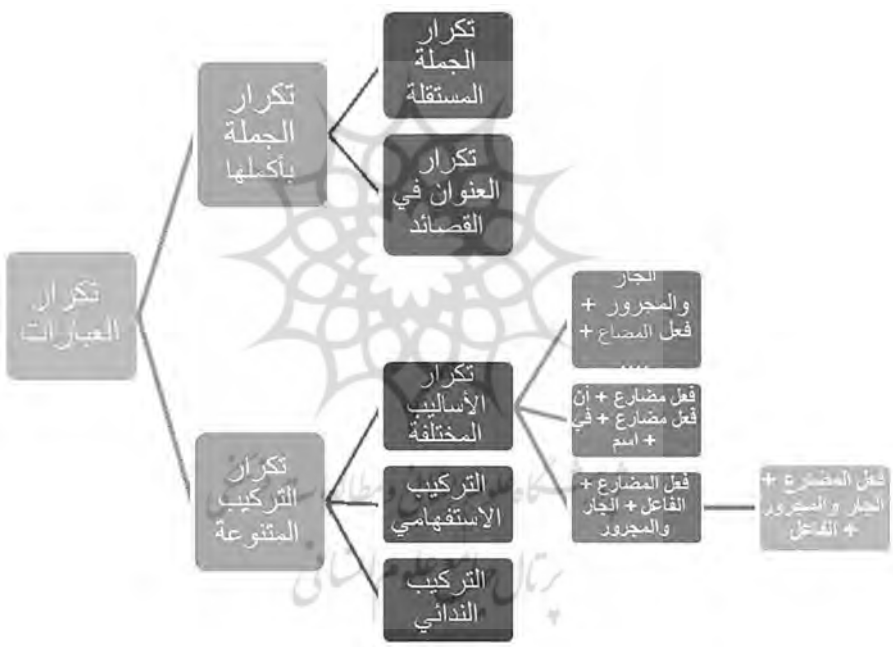

الرسم الثاني: تكرار العبارات

٤-٢-١. تكرار الجملة بأكملها

٤-٢-١-١. تكرار الجملة المستقلة

يقول السماوى فى قصيدة تضاريس قلب:

لكى أكون مؤهلاً للحبّ/فى الزمن الجديد/كيما أكون مؤهلاً للعشــق/ والصبّ التقيا. (السماوى، ٢٠٠٧م: ١٢-١٤)

يــدلّ تكرار أكون مؤهلــاً على أنّه مازال يعشــق وطنه وليس لحبّــه بديلٌ. ويقول السماوى فى قصيدة "تماهى":

بينک والعراق/ تماثل .../كلاكما يســكن قلبى نسغ احتراق.../ ها أنا بينكما ❊❊❊ بينــک والفرات/آصرة.../كلاكما يســيل من عينىّ/كلاكما صــيرّنى أمنية قتيلة/ كلاكما مئذنةٌ حاصرها الغُزاة../ ها أنــا بينكما ❊❊❊ بينک والفرات/قرابةٌ.../كلاكما ينام فى ذاكرة العشب/كلاكما أتكله الطغاة والغزاة/ ها أنا بينكما. (المصدر نفسه: ١٥-١٩)

كرّر الســماوى فى هــذه القصيدة جملة "ها أنا بينكما" ثــلاث مرات حيث يختم كل مقطــع بتكرار الجملة وهى التركيــب الغالب على نحو لافت فى القصيدة. إنّ تكرار هذه العبارات يعبّر عن حجم الآلام التى يعيشها السماوى فى منفاه. تولّد جمالية التكرار فى هذه الأبيات إيقاعاً وجرســاً خاصاً يتلائم مع مضامين القصائد. يعشق السماوى وطنه ويجمع بينه وبين حبيبته فى الديوان.

يقــول محمــد جاهد بدوى: «تأتى تجربة عشــق الوطن فى مقدمة طيوف المشــهد فى "قليلک... لاكثيرهنّ" تلک التجربة التى يتماهى فيها الوطن مع الحبيبة، ويتشــّكل عبر رســومها، ويتبدّى فى قســماتها، وتغــدو الحبيبة كذلک من بعــض وجوهها، وفى بعض تجلياتها الروحيّة وطناً للنفس، وســكناً للفؤاد، وإنّهما ليتماهيانِ، ويغدو أحدهما معرضاً تتجلّى على صفحته صورة الآخر فى تواشج رؤيوىّ حميم حتى يصيرا فى مخيلة الشاعر شيئاً واحداً، ما ذاک إلا لحنينه المحرِّق إليه، وشدة إحساسه باغترابه عن ذاک الوطن.» (بدوى، ٢٠١٠م: ١٥٨)

٤-٢-١-٢. تكرار العنوان فى القصائد

العنوان رســالة لغوية -بالمفهوم الســيمائى- تعرّف بتلک الهويــة وتحدّد مضمونها، وتجذب القارئ إليها، وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذى يدلّ على باطن النصّ ومحتواه. (رحيم، ٢٠٠٨م: ١٠) العنوان أكبر ما فى القصيدة، إذ له الصّدارة ويبرز متميزاً بشــكله

وحجمــه، فهو لافتة دلالية ذات طاقات مكتنــزة، ومدخل أوّلى لا بدّ منه لقراءة النصّ. (المصدر نفسه: ٩-١٠)

عنوان القصائد فى شــعر يحيى الســماوى بمثابة المرآة الصافيــة التى تعكس أفكار الشاعر ويكون ذا علاقة وطيدة مع نفسية الشاعر بحيث يجسّد لنا مضمون القصيدة قبل قراءتها من خلال الإيحاءات الســيميائية. يقوم الشاعر بتكرار عناوين القصائد بصورة مكررة. والجدول التالى يبين ذلک بصورة واضحة:

الجدول١: تواتر العنوان فى ديوان"قليلک...لاكثيرهن"

عنوان القصائد	عدد تواتر العنوان فى القصيدة
ستسافرين غداً؟	٢
يا جبل الوقار	٢
في آخر العمر	٨
يحدث في خيالي	٥
كأنّي أطالب بالمستحيل	٣
أين ستهربين من حبي	٣
حين تكونين معي	٦
مثلث السلطة	٢
طرق بابكم فأجاب صمتٌ	٢
ماعدتِ سرّاً	٢
ياصاحبي	٢
جنون	٢

والمثال من قصيدة آخر العمر:

فى آخــر العمر/ اكتشــفتُ أننى غرير.../ فى آخر العمر اكتشــفت/ أنــنى الزاهد../ والمسرف.../ الصعلوک.../ واكتشفتُ أنّ زورقى/ أكبر من أن/ تستطيع حمله البحور.../ فى آخــر العمــر اكتشــفتُ/ أنّ كلّ وردةٍ حديقةٌ كاملةٌ/ كلّ كوخٍ وطــنٌ/ فى آخر العمر اكتشــفتُ/ أنّ قلباً دونما حبيبةٍ/ مبخرةٌ ليس بها بخور.../ فى آخر العمر اكتشــفت/ أنّ

لی طفولة ضائعة/ جاء بها حبّک/ فی آخر العمر اکتشفت/ أننی سادنک الناسک.. والحقیر/ أرکض فی روضکِ/ فی آخر العمر اکتشفتُ/ أننی طفلک یا سیدتی الطفلة/ طفلٌ عاشقٌ... . (السماوی، ٢٠٠٧م: ٣٧-٤٢)

یبین السماوی ما یختلج فی نفسیته صریحاً حتی یرسم فی خیاله لوحات تشکیلیة من الوطن والعمر وطفولته ویؤکد فکرته مستعیناً بالتکرار حیث یستهل کل مقطع بتکرار عنوان القصیدة: فی آخر العمر اکتشفتُ ویمزج بین العناوین وقصائده؛ لأنّ تکرار العنوان عنصر فعَّال فی تکوین أشعار السماوی، فهو یهتم بالعنوان حیث یجعله النقطة المرکزیة التی تتمحور حوله القصیدة، کما فعل فی قصیدة آخر العمر، الذی یکرر العنوان فیها ثمانی مرات.

فالعنوان ذو دور محوری فی الفهم العمیق لأشعار السماوی وثّمة تلائم واضح بین عنوان القصائد ومحتواها. یقول الغرباوی نقلا عن جاسم خلف إلیاس: «عندما تتبعنا العناوین فی شعر السماوی وجدنا صحة ما ذهبنا إلیه، إذ إن ثنائیة الوطن والمنفی قد انعکست فی اغلب العناوین تعبیراً عن الإحساس بالغربة عن الذات والمکان.» (الغرباوی، ٢٠١٠م: ٤٥)

٤-٢-٢. تکرار التراکیب المتنوعة

ظاهرة التکرار-کما سبق- من الظواهر الأسلوبیة الهامّة فی الشعر العربی المعاصر ولها دلالات معنویة تتخطی وجودها اللغوی. لکن التکرار فضلاً عن کونه خصیصة أساسیة فی بنیة النص الشعری [فإن له] دوراً دلالیاً علی مستوی الصیغة والتراکیب المتنوعة؛ فهو أحد الأدواء اللاشعوریة التی یسلطها الشعر علی أعماق الشاعر فیضیئها. (راضی جعفر، ١٩٩٩م: ٩٩) نری هذه التراکیب فی دیوان یحیی السماوی بصورة مختلفة ولافتة. نقصد بتکرار التراکیب المتنوعة، تکرار الأبیات فی أسلوب نحوی واحد.

٤-٢-٢-١.تکرار أسلوب الجار والمجرور + الفعل المضاع + ...

یستفید السماوی فی قصیدة "إهداء" من هذا الأسلوب، کقوله:

للطفل يحبو فوق أرصفة الكلام ⟸ للطفل+ يحبو+ فوق أرصفة الكلام

للأمّ تحضنهُ.. تزقّ مكارم الأخلاق../ للصبح يغسل بالضياء الدرب من وحل الظلام/ للريح ينسج من حرير نسيمه بُرد المسرّة للأنام/ للريح قادت للثرى العطشان قافلة الغمام../ للحديق تزدحم الخنادق../ للمستبدّ اختار أن يلقى السياط إلى الضرام/ للمارق انتبذ الخطيئة... . (السماوى، ٢٠٠٧م: ٥-٩)

تؤدى جمالية تكرار هذا التركيب دورا فنياً إيقاعيّاً فى انسجام أبيات القصيدة من بدايتها إلى نهايتها وتبرز لنا براعة الشاعر وعبقريته فى بيان الحالة الشعورية المسيطرة على ذاته.

٤-٢-٢-٢. تكرار أسلوب" فعل مضارع + أن+ فعل مضارع + فى + اسم

يستخدم السماوى هذا الأسلوب فى قصيدة "يحدث فى خيالى":

يحدث أن أشيّد فى خيالى ⟸ يحدث + أن أشيد + فى خيالى

يحدث أن أجعل من عينيک/ يحدث أن أزرع فى خيالى/ يحدث أن أنسج فى خيالى/ يحدث أن أجعل من يديک فى خيالى سوراً/ يحدث أن أسوق نحو بيتک/ يحدث أن تسافرى يومين عنى/ يحدث أن تزفّک البحار لى/ يحدث أن أكتب فى خيالى/ يحدث أن يُجلسنى خيالى/ يحدث أن أطهر الحقول من كلّ الجراد البشرى فى بساتين الفراتين/ يحدث أن أقيم جسر الودِّ/ يحدث أن أموت فى خيالى/ يحدث أن أفيق من خيالى. (المصدر نفسه: ٥٣-٦٣)

يكرر السماوى هذا التركيب فى كلّ مقطع بمعنى جديد ولكن كلّها تدور فى النهاية حول محور واحد هو همومه تجاه الوطن. ويضفى على القصيدة انتظاماً خاصّاً لا يسأم القراء من قراتها ويتلائم مع نفسية الشاعر.

يستخدم الشاعر فى قصيدة "حين تكونين معى" أسلوبين:

٤-٢-٢-٣. الفعل المضارع + الفاعل + الجار والمجرور

يفرش الربيع لى سريره... ⟸ الفعل المضارع + الفاعل + الجار والمجرور

فينثـر الورد على وسـادتى/ تنسـج الضفاف لى شـذاه/ يظفر الصبـاح لى ضُحاه أرجوحة.../ يجلس الطير إلى مائدتى.../ تكشـف الصدور عن أسرارها. (المصدر نفسه: ١١٢-١١٦)

٤-٢-٢-٣-١. كما يتكرر أسلوب: الفعل المضارع + الجار والمجرور + الفاعل

يهرب من فصولنا الخريف ⟸ الفعل المضارع + الجار المجرور + الفاعل

يسيل من ربابتى اللجن/ تفيق من سباتها الأمطار/ تخرج لى لؤلؤها البحار. (المصدر نفسه: ١١٢-١١٦)

يكون السـماوى فى هذه القصيدة متفائلا بمسـتقبل العراق ويصور هذا التفائل من خلال تكرار لوحات تشـكيلية تـبرز حنينه البالغ إلى العـراق ويتذكّر جمال رؤيته فى الخيال. كما يعتمد السماوى على تكرار تركيب الجملة الفعلية التى يبدأ بالفعل المضارع. وهذا يعبّر عن شدة حنين الشاعر إلى وطنه الذى جعلت الزمن زمناً خيالياً لايخرج عن دائرة الحزن المستمرة. لأنّ الفعل المضارع يدلّ على التجدد والاستمرار.

فتكرار التراكيب طوال القصائد قد ولّد انسجاماً دلالياً وإيقاعياً بين المقاطع ويحقق توازناً موسيقياً. ويوحى فى طياته بأبعاد إيحائية تؤثر فى المتلقى وتسهم فى إيقاظ الوعى فى نفوس الجماهير ضدّ المحتلين.

٤-٢-٢-٤. تركيب الاستفهام

ومن التكرار الاستهلالى تكرار اسم الاستفهام فى بداية الأبيات، إذ يسهم فى شحن الخطاب الشـعرى بقوة إيحائية وفتح المجال الدلالى أمام القارئ وتستدرجه إلى إكمال النص، وتجبره على الإجابة عن الأسـئلة التى يطرحها الخطاب وبذلك يستكمل النص عند الإجابة عنها. (حنى، ٢٠١٢م: ١٥) الاسـتفهام أسـلوب من الأسـاليب الإنشائية الطلبية التى يسـتخدمها السـماوى فى الديوان ليعبّر عن أفكارهـا، كقوله فى قصيدة يا صاحبى:

هـل للغصونِ من الجذورِ هروبُ ؟/ أطيـارُهُ ... ونخيلهُ مصلوبُ/" قومى همُ قتلوا

أُميمَ أخى" ولا/ ذنبٌ سوى أنَّ القتيلَ قريبُ/ مالى أبثّكَ يا نديمَ قريحتى/ شجَنى وفيكَ من الهُموم سُـهُوبُ؟/ هل نحن إلا أمةٌ مغلوبةٌ/ رأتِ المشـورةَ ما يقولُ مُريبُ ؟/ ما نفعُ توحيدِ اللسـانِ لأمةٍ/ إنْ لمْ تُوحّدْ أذْرعٌ وقلوبُ؟/ هى أمةٌ أعداؤها منها ... متى/ طارَ الجناحُ وبعضُـهُ معطوبُ ؟/ من أين يأتينا الأمانُ وبعضنـا/ لِعدوّنا والطامعينَ ربيبُ؟/ هل نحن إلا أمةٌ مغلوبةٌ/ فإلى مَن/ يشكو العاشقُ المغلوبُ؟/ لا بدّ من غَرَقِ السفينِ إذا انبرى/ لقيادها "المنبوذُ" و"المجذوبُ." (السماوى، ٢٠٠٧م: ٨٢-٩٢)

فى هـذه القصيدة يرتقى حزن الشـاعر إلى ذروته ويتبلور كلّ مـا يعانيه من ألم فى أسلوب الاسـتفهام؛ فالقصيدة تشير إلى الجرائم التى شـوهت الوجه الناصع للمقاومة الوطنية المشروعة ويتضمن البيت الشهير:

قومى همو قتلوا أميم أخى ⟸ فإذا رميت أصابنى سهمى

والبيت إشارة إلى جريمة احتلال الكويت من قبل صدام، كما أن القصيدة تدلّ على جريمة هدم المدن العراقية بسـاكنيها علـى يد قوات الاحتلال بذريعة البحث عن بعض الإرهابيين. ويشـير إلى زعيم عربى بالغ النرجسـية وضع خطـة إرهابية لاغتيال قائد عربى كان قد جند نفسه لخدمة الأمتين العربية والإسلامية .

كثـيرا ما تكون بعض القيادات العربية السـبب الجوهرى لدمار شـعوبها واحتلال أوطانها ولعل النظام العراقى السـابق خير مثال على ذلك. (المصدر نفسـه: ٩٢) كثرة اسـتخدام الاستفهام تجسد الرؤية الفكرية للشـاعر وهمومه الاجتماعية؛ لأنّه يعتقد أن سـيفه معضوب ولا ناصر له ويعبر عن ظلم حكام العرب وجورهم لهذا الشـعب الذى يخضعون للأجنبى المستغل للأرض والشعب.

يسـتهل السماوى قصيدة "طرقنا بابكم فأجاب صمت" بسؤال كما نرى فى النماذج التالية:

أما لبعيد هودجكم قدوم؟/ فيا أحبابنا هل من جديد؟

عاتبنى فمى: أيجوز قتلى على عطش.. وفى عيد أصوم؟

أ تغنى الطير عن غصن نقوش لتغنينا عن الوصل "الرسوم"؟

(المصدر نفسه: ٦٣-٦٨)

إنَّ كثرة التراكيب الاستفهامية فى الديوان تدلّ على الصراعات النفسية التى يعانى منها الشاعر فى المنفى؛ لأنّ الملمح الأسلوبى فى هذا التكرار أن هذا الاستفهام التقريرى لا يراد منه جواب جاء لتأكيد المعنى. ثم إن هذه الأسئلة الطاقة تثير فى المتلقى التأمل فى مضمون القصيدة.

٤-٢-٢-٥. تركيب النداء

النداء أسلوب من الأساليب الإنشائية الطلبية، وفيه يتمّ تنبيه المنادى، وحمله على الالتفات. (المخزومى، ١٩٨٦م: ٢٨٩) فقد استخدم السماوى أسلوب النداء فى ديوانه لبيان همومه فى المنفى. على سبيل المثال يقول فى قصيدة "طرقنا بابكم فأجاب صمت":

ويا أحبابنا ما طول عمر لنفس لا ترام ولا تروم؟
ويا أحبابنا هل كان يذكو بغير حريقة الرّند السليم؟
ويا أحبابنا لو كان يُجدى عتابٌ لانبرى قلبٌ هضيم
فيا أحباب باقى العمر هلّا تضاحک ليلنا منكم نجوم.

(السماوى، ٢٠٠٧م: ٦٥-٧٠)

من خلال هذه الأبيات يتجلى لنا أنّ السماوى اعتمد على تكرار الجملة الندائية التى توحى بحالته النفسية فى فراق وطنه. لأنّه ينادى أحبته الذين خلفوا فى قلبه بصمات حبّهم وذكرياتهم الجميلة. يقول الشاعر فى قصيدة "سؤال":

أغربُ ما قرأتُ فى مدافن الأمواتْ/ شاهدةٌ خُطَّ عليها :/ أيّها الأحياء فى مدائن السُبات/ أما مللتم لُعبة الحياة؟ (المصدر نفسه: ٩٩)

إنه يريد أن ينبه شعوب العراق لأوضاع مجتمعهم وصحوتهم وأن يرشدهم إلى دروب الصواب. ينبع أسلوب النداء من عمق تحسر السماوى على أرضه بعد مرور السنين. يقول شرتح: إنّ شعرية السماوى متجذرة فى عمق الرؤية/ وحرارة التجربة المتقدة عاطفياً، إذ تستمد وميضها من جراح الغربة، والصبابة والشوق العارم الذى لن ينقضى موجه الحارق طيلة الحياة؛ فهو دائماً فى توهج وحنين دائم إلى العراق. (شرتح، ٢٠١١م: ٤٦٧) فالمنادى فى هذا الديوان يدل دلالة نفسية على الآلام التى يعانى منها

الشاعر فى المنفى ويعبّر عن حنينه إلى العراق.

٥. النتائج

التكرار ظاهرة أسلوبية بارزة فى ديوان "قليلك... لا كثيرهنّ" ليحيى السماوى وهو لا يأتى عشوائياً بل هادف وذو مغزى. يظهر التكرار فى ديوانه بأشكال متنوعة فى الألفاظ، الضمائر، كلمات الطبيعة، المتقابلات والجمل، وكلّ شكل من هذه الأشكال له أبعاده الإيقاعية التى تدلّ على هموم الشاعر وقلقه على مستقبل وطنه العراق. تؤدى جمالية التكرار إلى إثراء قصيدته من حيث الإيقاع الموسيقى وإثارة المعانى الإيحائية؛ الأمر الّذى جعل قصائده متماسكة ذات وحدة عضوية.

وكلمة العراق من أبرز الكلمات التى يستخدمها الشاعر فى قصائده مباشرة، وذلک لبيان مدى علاقته النفسية بالعراق وحنينه إليه. ركز يحيى السماوى فى ديوانه على ضمير المتكلم ليؤكد على على تفرده وتميزه حتى فى منفاه، كما خلع على كلمات الطبيعة، الصفات البشرية على طريق التشخيص. فالتشخيص يرسم لوحات استعارية جميلة فى أشعاره الرومانسية وهو بذلک يشرک عالم الطبيعة آلامه وأشجانه ليخفف من مأساته. تدلّ الكلمات المكررة ک (حقل ياسمين، بستان برتقال، الزهرة، زهرة الريحان و...) فى هذا الديوان على الأمل وتفاؤل السماوى بمستقبل وطنه العراق ويجمع الشاعر بين المتقابلات على أساس الانزياح، كما يكرر العبارات بأنماطها المتنوعة. يؤدى تكرار العبارة إلى الانسجام المنظم بين المقاطع ويحقق موسيقى متماسكة ويوحى فى طياته بأبعاد إيحائية تؤثر فى المتلقى وتسهم فى إيقاظ الوعى فى نفوس الجماهير ضدّ المحتلين وتجسد الحالة النفسيّة للشاعر إثر غُربته عن الوطن.

من الناحية الفكرية والاجتماعية مزج السماوى بين حبه لحبيبته والوطن. عالج فى شعره مشكلات كيانية يعانيها فى منفاه وينبغى الإشارة إلى أنَّ التكرار فى شعر السماوى يكون فى خدمة فكرته المحورية أى بيان همومه الوطنىّ. فعندما يتحدَّث السماوى عن الوطن، يحسُّ القراء بأنَّ الشاعر يقوى الإحساس بالغربة والاغتراب عن العراق فى شعره. وهذا يدلّ على أنَّ حبَّه للوطن يظهر القضايا الوطنية فى مضامين أشعاره، وهو

ينقل هذا الحسَّ من ذاته إلى نفس المتلقِّي. وفي أغلب الأحيان يبلور السماوي في شعره رؤيتــه الفكرية والاجتماعية حول فراق الوطن والدعوة إلــى الثورة والرفض ويدعو الشــعوب العربية من خلال أســلوب التكرار إلى الوعي والوقوف بوجه الطُغاة والعتاة والأباطرة. وقد ظهرت براعته في اســتخدام هذا الأســلوب ونقل بذلك مشــاعره إلى المتلقي.

المصادر والمراجع

ابراهيــم، عبدالعظيم المطعــني. (١٩٩٢م). خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغيــة، الطبعة الأولى. بيروت: مكتبة وهبة.

ابن رشــيق القيرواني، الحسن. (لاتا). العمدة في محاســن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت: دار الجيل.

بــدوي، محمد جاهين. (٢٠١٠م). تجربة العشــق والاغتراب في ديــوان قليلك لاكثيرهن. لامک: دار الينابيع.

راضــي جعفر، محمد. (١٩٩٤م). الاغتراب في الشــعر العراقي المعاصر مرحلة الروّاد، دمشــق: اتحاد الكتاب العرب.

الســماوي، يحيى. (٢٠٠٧م). ديوان قليلک... لاكثيرهنّ، جدّة: عبدالمقصود محمد سعيد خوجه، الطبعة الثانية.

ضيف، شوقي. (١٩٩٩م). فصول الشعر ونقده، مصر: دار المعارف.

عبدالنور، جبور. (١٩٨٤م). المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين.

عبيــد، محمد صابر. (٢٠٠١م). القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية. دمشــق: اتحاد كتاب العرب.

عجلان، عباس بيومي. (١٩٨٩م). عناصر الإبداع الفني في شــعر الأعشــى. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

عشري زايد، علي. (٢٠٠٨م). عن بناء القصيدة العربية الحديثة. القاهرة: مكتبة الآداب.

عيد، رجاء. (١٩٨٥م). لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث. الإسكندرية: منشأة المعارف.

الغرباوي، ماجد. (٢٠١٠م). تجليلات الحنين في تكريم الشــاعر يحيى السماوي. الجزء الأول. دمشق: دار الينابيع.

ـــــــ . (٢٠١٠م). تجليلات الحنين في تكريم الشــاعر يحيى الســماوي. الجزء الثاني. دمشــق: دار الينابيع.

قطب، سید. (۱۹۹۳م). النقد الادبی «أصوله و مناهجه». الطبعة السادسة. بیروت: دار الشرق.
المخزومی، مهدی. (۱۹٦٤م). فی النحو العربی نقد و توجیه. بیروت: منشورات المکتبة العصریة.
المسدی، عبدالسلام. (۱۹۸۲م). الأسلوبیة والأسلوب. تونس: الدار العربیة للکتاب.
الملائکة، نازک. (۱۹۷۷م). قضایا الشعر المعاصر. الطبعة السادسة. بیروت: دار للملایین.

المقالات والرسائل

أمـال، دهنون. (۲۰۰۸م). «جمالیات التکرار فی القصیدة المعاصرة»، الجزائر: جامعة محمد خیضر. جامعة کلیة الآداب والعلوم الإنسانیة والاجتماعیة، العدد الثانی والثالث.

حنی، عبدالطیف. (۲۰۱۲م). «نسـیج التکرار بین الجمالیة والوظیفة فی شـعر الشهداء الجزائریین دیوان الشهید الربیع بوشامة نموذجا». مجلة علوم اللغة العربیة وآدابها. کلیة الآداب واللغات. جامعة الوادی. العدد الرابع. صص٦-۲۰.

رحیم، عبدالقادر. (۲۰۰۸م). «العنوان فی النص الإبداعی أهمیته وأنواعه». الجزائر: جامعة محمد خیضر. العددان الثانی والثالث.

الزیود، عبدالباسـط محمد. (۲۰۰۷م). «من دلالات الانزیاح الترکیبی وجمالیاته فی قصیدة الصقر لأدونیس». مجلة جامعة دمشق، المجلد۲۳، العدد الأول.صص۱۵۹-۱۸۸.

علی، عبدالرضا. (۱۹۸۹م). «الإیقاع الداخلی فی قصیدة الحرب». بحث مقدم إلی مهرجان المربد العاشر.

معروف، یحیی. (۱٤۲۳ق). «دراسـة وتحلیل للمضامین الشعریة للشاعر العراقی یحیی السماوی». مجلة اللغة العربیة وآدابها. السنة الثامنة. العدد الرابع عشر. صص۱۲۷-۱۵۳.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی